

علاقة المماليك مع العشائر العراقية في عهد الوالي سليمان باشا

م.م. اناس حمزه مهدي

م.م. محمد رسن السلطاني

جامعة بابل/كلية التربية الاساسية

المقدمة:

تكتسب علاقة المماليك السياسية في عهد الوالي سليمان باشا الكبير (١٧٨٠ - ١٨٠٢ م) مع العشائر العراقية في ولاية بغداد اهمية كبيرة ، لما شهدته تلك العلاقات من صور تعاون من جانب وعداء وصراع من جانب آخر ، لذلك من المهم بدراسة الكشف عن مراحل التعاون ومن ثم الكشف عن اسباب العداء والصراع من جهة اخرى ، خاصة وان عهد الوالي سليمان باشا الكبير شهد جميع صور التعاون والعداء تتسم فترة حكم الوالي سليمان باشا الكبير اهمية خاصة كونه يتمتع بشخصية متميزة حاول ان يقوي سلطة الحكومة ويبسط سيطرتها على جميع المناطق والقيام باصلاحات سياسية وادارية واقتصادية ، ومما يزيد من اهمية حكمه انها كانت اطول فترة حكم بين الولاة المماليك في تاريخ العراق ولا يوازيه في ذلك سوى حسن باشا واحمد باشا . كما انه من المهم الكشف عن نشاط العشائر الذي لم تتناوله الدراسات بشكل كافي رغم ما كانت تحضى به العشائر في دور سياسي في ادارة مناطق واسعة من العراق ، حيث كانت سلطة الحكومة في كثير من الاحيان لاتتعدى اسوار المدن .

اعتمدت الدراسة على منهج البحث التحليلي التاريخي ، حيث يكون وصف الحدث التاريخي ومن ثم التحليل التاريخي لمعرفة الاسباب التي ادت اليه والنتائج التي تمخضت عنه . تتكون الدراسة من ثمان فقرات اساسية عالجت كل نقطة منها مرحلة من مراحل العلاقات المملوكية العشائرية تناولت الفقرة الاولى فترة متسلمية (سليمان آغا) للبصرة حتى توليه منصب الولاية في بغداد ، اما الفقرة الثانية فدرست الحملات الاولى (لسليمان باشا الكبير) على عشائر الخزاغل ، واتت الفقرة الثالثة لتبحث في عزل سليمان الشاوي وابعاده عن بغداد وموقف العشائر العراقية وجاءت الرابعة لتوضح التحالف العشائري الكبير ضد المماليك . وتناولت الفقرة الخامسة تحالف البابانيين في السليمانية مع عشيرة المنتفق للقضاء على حكم المماليك في العراق واتت الفقرة السادسة لتبين حملات علي الكهية على العشائر لفرض الضرائب ، اما الفقرة السابعة تناولت تعاون العشائر العراقية مع حكومة المماليك لمواجهة الحركة الوهابية ، واتت الفقرة الثامنة لتبين التحالف الكردي العشائري ضد المماليك في عهد الوالي سليمان باشا واحتوى البحث على خاتمة ضمت ماتوصلت اليه الدراسة بصورة متسلسلة وقائمة بالمراجع والمصادر. استندت الدراسة على مصادر عديدة والتي اختصت بتاريخ العراق الحديث بصورة عامة وفترة المماليك (١٧٤٩ - ١٨٣١ م) وفترة الوالي سليمان باشا الكبير بصورة خاصة ، ومن تلك المصادر مؤلفات المحامي عباس العزاوي (تاريخ العراق بين احتلالين، ج٦) و(العشائر العراقية ج٣، ج٤) وكذلك كتابه (تاريخ الادب العربي في العراق) ومن الكتب المهمة (دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء للمؤلف رسول حاوي الكركوكلي ، حيث كان هذا المصدر معاصرا للاحداث ، ومن المصادر الاخرى المعاصرة للاحداث كتاب (مطالع السعود) لـ عثمان بن سند البصري رغم انه كتب من وجهة نظر المماليك، وهناك كتب مترجمة مهمة منها كتاب اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث لمؤلفه ستيفن همسلي لونكريك والذي اعتمد بصورة خاصة في معلوماته على كتابات الاجانب الذين زاروا العراق او عملوا لفترة طويلة فيه ، كذلك كتاب (ولاية البصرة في الماضي والحاضر، ج٢) لمؤلفه الكسندر ادموف والذي اعتمد على المصادر نفسها التي اعتمد عليها ستيفن همسلي لونكريك وهي كتب الرحلات وغيرها.

أولاً: "علاقات العشائر مع سليمان آغا أثناء متسلميته للبصرة حتى ولايته على بغداد

١- متسلميته للبصرة

لعبت العشائر العراقية دوراً مهماً في سياسة الولاة المماليك في العراق لما لها من تأثير مباشر على سياستهم الداخلية ، ففي فترة المماليك في العراق (١٧٤٩ - ١٨٣١ م) كان هناك شخصيات عربية قوية في الاحواز وجنوب ووسط العراق وقبائل عربية قوية أثرت تأثيراً كبيراً على سير الاحداث والمصالح في العراق ، مثل مير مهنا والشيخ سليمان الكعبي الذي اسس امارة كعب في الاهواز (٩) .

نتيجة لما كانت تمثله العشائر العراقية العربية من أهمية كبرى للحكم العثماني في العراق ولتسهيل التعامل معها فقد اوجد الوالي العثماني حسن باشا (١٧٠٤ - ١٧٢٣ م) نظام أو منصب (باب العرب) للتعامل مع العشائر العراقية وهذا المنصب يتولاه عربي ، وجعل له إدارة خاصة مرتبطة بالوزارة مباشرة ، فكانت العشائر تراجع في امورها باب

العرب (١٠) ويعد باب العرب من المناصب المهمة التي اخترعتها السلطة العثمانية وهو اعتراف صريح بالعشائر العربية لما لها من أهمية في سير الأمور الإدارية والعسكرية والاقتصادية في ولاية بغداد، حيث عمل باب العرب على تحقيق هدفين، الاول تنسيق التعاون بين العشائر التي تتعاون مع الادارة العثمانية، والثاني محاولة ايجاد تفاهم مع العشائر التي تخرج عن طاعة الدولة العثمانية، فهو وسيلة للاستماع لأراء العشائر لمعرفة مطالبها وليس وسيلة للقضاء على العشائر.

قبل ان يتولى سليمان باشا الكبير منصب والي بغداد كان يشغل منصب متسلم البصرة ايام الوالي عمر باشا (١١٧٦٤- ١٧٧٥م) حيث كان له علاقات واسعة مع العشائر سلبية وايجابية ظهرت هذه العلاقات بجانبها سنوات الغزو الفارسي للبصرة واحتلالها (١٧٧٦- ١٧٧٩م).

بدأت القوات الفارسية هجومها على البصرة تحت حجة ان الوالي (عمر باشا) صادر اموال سبعمئة عائلة فارسية قضت في الطاعون الذي ضرب بغداد والبصرة عام ١٧٧٣م (١١).

تباين موقف العشائر من الغزو الفارسي بصورة كبيرة فهناك من القبائل من قاتل الى جانب الفرس فيما كانت هناك قبائل قاتلت الى جانب العثمانيين ويعود ذلك التباين الى الاختلاف المذهبي والمصلحي بين العشائر. فعندما تقدم الجيش الفارسي بقيادة (صادق خان) – اخ كريم خان الزند شاه فارس – وقفت قبيلة كعب وبني لام معه بكل ما تملك من قوة حيث سخرت سفنها الحربية لمهاجمة البحرية العثمانية واسطول شركة الهند الشرقية البريطانية (التي وقفت الى جانب العثمانيين في الحرب ضد الفرس) في مدخل شط العرب وموانئ البصرة، وعملت على تسهيل عبور الجيوش الفارسية شط العرب وعسكروا في اماكن قريبة من البصرة لحصارها، ثم قام (٣٠٠) فارس من كعب بمهاجمة البصرة وعبروا السور وفتحوا الأسواق والمحلات ووصلوا إلى وسط المدينة ثم عادوا الى موطنهم (١٢)، وكانت تلك المحاولة بمثابة اختبار لمعرفة قوة التحصينات الدفاعية للمدينة ومقدار وقدرة الجيش المدافع عنها وقد اثبت هذا الهجوم ضعف الدفاعات والمدافعين عن المدينة، وفي المقابل كانت هناك قبيلتين عربيتين وقفت إلى جانب العثمانيين في الدفاع عن البصرة ضد تقدم الجيش الفارسي وهما عشيرة المنتفق (١٣) وبنو خالد (١٤).

(٥)

حيث وجد الإيرانيين انفسهم بمواجهة قوات عربية كبيرة من عشيرة المنتفق يقودها (عبدالله السعدون) تحاول منع الإيرانيين من عبور شط العرب (١٥).

بعث (صادق خان) قائد الجيوش الايرانية تحذيرا الى اهالي البصرة ومسؤوليها لافتداء المدينة، وارسل رسائله الى ثلاث شخصيات وهم متسلم البصرة (سليمان اغا) والوكيل البريطاني (روبرت مور) والشيخ درويش (شيخ العرب في البصرة) مما يدل على الدور المهم والثقل السياسي الذي تشغله القبائل العربية في البصرة بالنسبة للفرس والعثمانيين على السواء.

إزاء الرفض لرسائل صادق خان لافتداء البصرة، تقدمت القوات الفارسية وحاصرت البصرة حصارا شديدا استمر لعام كامل (٧ نيسان ١٧٧٥ – ١٥ نيسان ١٧٧٦م) بعدها دخلت القوات الفارسية وأسرت متسلمها سليمان أغا وبعثت به مع عدد من موظفي إدارته كأسرى حرب الى شيراز واستمر الاحتلال اربعة سنوات (١٧٧٦- ١٧٧٩م)، وأثناء الاحتلال الفارسي لمدينة البصرة حدثت صدامات عنيفة بين الجيش الفارسي والعشائر العراقية، ففي سنة ١٧٧٧م تقدمت قوة فارسية نحو المنتفق ودارت معركة عنيفة في مكان يقال له (الفضيلة) غرب نهر الفرات اسفرت عن هزيمة الجيش الفارسي وتكبده خسائر كبيرة (١٦) وفي عام ١٧٧٨م تقدمت قوة فارسية تتكون من عشرة آلاف مقاتل مع (١٨) زورقا نحو المنتفق يقودها (محمد علي خان) وعند منطقة (ابي حلانة) على بعد (٢٧) كم من البصرة دارت معركة عنيفة بين الطرفين أضاع فيها القائد الفارسي حياته وجيشه باجمعه (١٧).

انسحب جيش (صادق خان) من البصرة في اذار ١٧٧٩م ووعد بإطلاق متسلمها سليمان أغا (١٨) وكان الانسحاب بسبب وفاة كريم خان الزند وحدث حرب حول من يرث العرش ولإسناده في ترشيح نفسه للعرش.

ثانيا : موقف العشائر العراقية من محاولات سليمان أغا تولي منصب والي بغداد .

عندما انسحب (صادق خان) من البصرة وجه حاكميتها إلى سليمان أغا وأرسل معه مراسلا حتى وصل إلى

الجزيرة (قرب الموصل) وحينئذ عرف ان (نعمان أفندي) نصب متسلما فتوقف في الحويزة وراسل الاعيان ورغبوا في دخوله البصرة إلا ان (ثامر السعدون) شيخ المنتفق وقف الى جانب نعمان افندي وعارض سليمان أغا , كما ان والي بغداد حسن باشا (١٧٧٨ - ١٧٨٠م) اعتذره وبقي في محله منتظرا سير الاحداث (١٩) ومما عقد عودة سليمان اغا الى البصرة ان القوات الفارسية عندما انسحبت عام ١٧٧٩ تركت المدينة ليسيتر عليها (ثامر السعدون) مع قواته فلم يكن بوسع (سليمان اغا) الدخول للمدينة , ولكن الوضع تغير لصالح سليمان اغا حينما حصلت خصومة بين المنتفق والخزاعل (٢٠) فسار ثامر السعدون بالمنتفق لحرب الخزاعل الذين خرجوا له فقتلوه مع خلق كثير من المنتفق , وألت المشيخة الى (ثويني العبدالله) الذي كان صديقا لسليمان اغا فطلب من ثويني ان يدخل المدينة فدخلها ووصل في الوقت نفسه الفرمان من الاستانة بتعيينه متسلما للبصرة وبرتبة (ميرميران) غيران نظر سليمان اغا كان يتجه الى ابعد من ذلك لانه كان يشعر بانه

(٦)

الرجل القوي في العراق , ولم يدع اية فرصة لفهام السلطان العثماني ذلك , وكان ساعده في ذلك (المستر لاتوش) الوكيل البريطاني في البصرة لان سليمان أغا كان صديقه ودائه في الوقت نفسه , وكان الوكيل وسيطه في تحويل الأموال الضخمة إلى استانبول (٢١) .

بعد ان طلب (سليمان اغا) من الدولة مرارا توليته بغداد , صدر الفرمان بتوجيه ولاية بغداد إلى سليمان اغا وعهد بمتسلمية البصرة الى القبطان , وغادر البصرة متوجها إلى بغداد في ربيع عام ١٧٨٠م بمصاحبة قوة كبيرة من المنتفق يقودها (ثويني العبد الله) وعندما وصل إلى كربلاء أمر ثويني العبد الله بالعودة الى موطنه واستقبله في الحلة (سليمان الشاوي) استقبالا رسميا (٢٢) . ودخل سليمان الذي لقب بـ (بيوك) اي الكبير [تمييزا له عن والي آخر حكم بغداد يحمل نفس الاسم] إلى بغداد في تموز عام ١٧٨٠م وقد حضر رؤساء القبائل الكبرى في خريف ١٧٨٠م لتقديم الطاعة وتم تعيين قسم منهم في مناصب شرفية , وكان الوسيط بين شيوخ القبائل وبين سليمان باشا الكبير (١٧٨٠ - ١٨٠٢م) سليمان الشاوي الذي كان يشغل منصب (باب العرب) ورئيس عشيرة العبيد (٢٣) ورئيس الأسرة الشاوية المعروف بكونه مشاورا ودبلوماسيا (٢٤).

ثالثا: حملات سليمان باشا الكبير على الخزاعل .

لعبت العشائر العراقية في جنوب ووسط العراق دور كبير في مساندة (سليمان باشا الكبير) في تولي منصب والي بغداد حيث كانت العلاقات بينه وبين العشائر العراقية في البداية ,علاقات طيبة ويسودها الاحترام , ولكن ذلك النمط من العلاقات تغير نحو العداء بعد أن اطمأن الوالي على منصبه واستقر في حكم بغداد , وربما يعود السبب إلى محاولة الوالي بسط سلطته على أنحاء العراق بعد أن استغلت العشائر الفوضى التي سبقت حكم (سليمان باشا الكبير) وفرضت سيطرتها على مناطق واسعة في العراق مستغلة ضعف الولاة السابقين , ولجباية الضرائب التي كانت تفرضها الدولة على العشائر , وكانت أول حملة قادها الوالي على جهة ديالى للقضاء على محمد العجمي وجماعته الذين سيطروا على تلك الأنحاء ونجح في ذلك وهرب محمد العجمي إلى إيران (٢٥) .

أول حملة قام بها سليمان باشا على العشائر العراقية كانت على عشيرة الخزاعل عام ١٧٨١م وكان في عهد شيخها (حمد الحمود) على الرغم من استقبال باشا الكبير عند مروره من البصرة الى بغداد, وقدم له الهدايا واطهر الباشا حسن القبول واللفظ , وكان الخزاعل استغلوا فرصة الفوضى التي مر بها العراق في الفترة السابقة فسيطروا على منطقة الفرات الأوسط زهاء ثماني سنوات برئاسة شيخهم حمد الحمود , فعزم الوالي على حربهم وعزل حمد الحمود وتعيين بدله الشيخ (محسن) , فوصل جيش الوزير الى الحسكة واستقر في جانب الشامية على الفرات واتحدت عشائر الخزاعل (الحمد) و(السلمان) وتبعته عشائر اخرى وصاروا تحت قيادة حمد الحمود , وتحصنوا في قلاعهم المسماة (سببية) وكانت محاطة بالمياه فعمل الوزير على *سد نهر الفرات ومنع المياه من الوصول الى الاهوار التي كانت تمنعهم.

(٧)

وفي مدة شهرين تمكنوا من سد نهر الفرات وعندها أرسل حمد الحمود إلى سليمان باشا الكبير يطلب الصلح , فوافق سليمان باشا واعاد المشيخة اليه (٢٦) واستطاع سليمان باشا ان يخضعهم لامرته بواسطة قطع مياه النهر دون ان يريق قطرة دم واحدة , وقد كافأه السلطان من على ذلك بسيف مرصع القبضة وثوب من السمو الفاخر (٢٧) .

في عام ١٧٨٣م سار (الوالي سليمان باشا الكبير) الى الشامية بحملة عسكرية لامتناع شيخها (محسن) دفع الضرائب، وتحصن في قلعة (السيبانية) واعتمد على رصانته , وبعد ان وصل الوالي الى المنطقة بقي بضعة ايام هناك وهاجمهم من كل صوب فاشتد الامر على الشيخ محسن وجماعته ولم يجد قدرة على المقاومة , انسحب ومن معه تاركين املاكهم وامتعهم واموالهم التي استولى عليها الوالي وجيشه (٢٨) .

قام سليمان باشا الكبير بقيادة حملة جديدة على الخزاعل عام ١٧٨٤م , وكانت كالحملة التي سبقتها فعندما وصل الى منطقة (لموم) التي كان الخزاعل يحتشدون بالقرب منها , لم يستطع التوغل بسبب الأنهار والاهوار , وعمد الى سد نهر الفرات , فقام الخزاعل بكسر الكرمات (الانهار الفرعية) واغرق جيش الوالي والقيام بهجمات ضده , بعد ان عجز الوالي من التغلب على الخزاعل بعث (حمد الحمود) الى الوالي يطلب العفو فقبل *الوزير وابقى المشيخة في عهده واليسه خلعة الوزارة وعاد الى بغداد (٢٩) .

بعد ان استطاع سليمان باشا الكبير القضاء على خروج العشائر عن سلطة الحكومة في وسط وجنوب وشمال العراق في بداية حكمه جعلت مهابته تزداد وقعا" في النفوس , فاستتب الأمن في أنحاء البلاد , وانتظم سير القوافل , وراجت الأسواق , وجمع (سليمان باشا) من الداخل والخارج ألف مملوك واخذ يدرّبهم تدريبا متعبا ليكونوا أهلا للاعتماد عليهم عند الحاجة . ثم عين للانكشاريين ضباطا اختارهم بنفسه ووزعهم على مراكز الفرات الاوسط *والخالص بدلا" من ابقائهم متجمعين في بغداد (٣٠) .

رابعا" : عزل سليمان بك الشاوي وموقف العشائر العراقية .

يعتبر (سليمان الشاوي) من الشخصيات التي لعبت دورا مهما في سير الاحداث، وتطورت العلاقات في عهده مع العشائر العربية العراقية سلبا وإيجابا، و في اغلب فترة حكم الوالي سليمان باشا الكبير تعكرت علاقته مع سليمان الشاوي منذ تولية سليمان باشا الكبير لولاية بغداد وحتى *مقتل سليمان الشاوي عام ١٨٩٤م. فكان سليمان الشاوي يجمع في نفسه صفات قلما اجتمعت في احد غيره , فهو كان رئيس عشيرة العبيد , و شاعر من شعراء القريض وعالما لغويا ومؤلفا (٣١) . فضلا" عن مشاورا" الى ولاية بغداد، وتولى منصب (باب العرب) الذي يقوم من يتولاه بادارة شؤون العشائر لدى الادارة في العراق ، ولعب الشاوي دورا سياسيا" مهما في بداية حكم سليمان باشا الكبير.

(٨)

وعلاقة متينة جدا , فضلا" عن توسطه وقد توسط لدى مشايخ الفرات الاوسط ، فجاء بهم الى بغداد لتقديم فروض الطاعة الى الوالي (٣٢) .

اخذت العلاقة بين الشاوي والوالي سليمان باشا الكبير تاخذ طابع العداء بعد عام ١٧٨٥م ويعود ذلك الى عدة اسباب، منها في عام ١٧٨٥م عين سليمان باشا الكبير كهية له (٣٣) (احمد اغا) برتبة ميرميران ومن قبلها كان مهردار (حامل اختام) وكان بين هذا العبد المعتقد وسليمان الشاوي من الحقد المر ، نشأ من قبل وتأصل , فملا الكهية احمد اذني سيده بقصص عن خيانة الشاوي ومخابراته وعن اطماعه الخطيرة ولما اقتنع سليمان باشا بذلك امر بمصادرة امواله واملاكه وامره بمغادرة بغداد(٣٤).

هناك من يرى ان سليمان باشا الكبير اراد ان تكون الادارة خالصة للمماليك ووطد الامر بالقضاء على نفوذ البنكرجية والعشائر العربية والامارات الكردية , ورعى ممالك اخرى فتمكنوا من الادارة, واراد ان يقضي على عنصر فعال من العناصر الاهلية وهذه سياسته كانت في الخفاء وما قام به من اعمال اظهرت مكنون سره فلم يطلع على فكرته سوى

مهرداره (٣٥) , غير ان هناك من يرى سبب آخر للنزاع وهو ان الحاج سليمان الشاوي كان يحتقر في قراره نفسه المماليك ويعتبرهم غاصبين سرقوا خيرات البلاد وتحكموا بها رغم انف أبنائها ولم يتكتم في انتقاد حكمهم والشكوى من ظلمهم واستبدادهم وقد اشتدت نفمته حين رأى احمد اغا المهردار وهو المملوك المغدور يسيطر على الامور في بغداد فأستتفكف الحاج سليمان وهو الشيخ العربي الكبير ان يسير في ركاب هذا المملوك القذر الحقيير (٣٦) .

وهناك من علل النزاع الى ان الشاوي سلك مع الوالي مسلك التكبر والعجب بالنفس والانانية فشمخ وتجبر كثيرا ما كان يتناول بالكلام على الوالي ويسمعه الفاظا غير لائقة , وطالما نبهه الوالي كناية وتصريحا فلم يفد معه شئ من ذلك بل ازداد غرورا , وقيامه بالحط من منزلة المهردار احمد اغا والحط من قدره ... فاضطر الوالي بعد ان فرغ صبره بنفيه من بغداد (٣٧) .

غادر الشاوي بغداد في عام ١٧٨٦م وتوجه نحو عرقوف شمال بغداد (٣٨) واستقر هناك قليلا والتفت حوله عشائر العبيد وعشائر اخرى , كما انظم اليه كل هارب ومتشرد من مختلف القرى والمدن واخذت قواته تعبت بالامن على الطرق الممتدة بين الخابور وضواحي بغداد (٣٩) , لذلك عزم سليمان بك باشا الكبير على حربه, فجلب ابراهيم باشا الكبير متصرف ألوية بابان وكوى وحرير بجيوشه وعززها جيوشا من بغداد وعين احمد اغا قائدا عليها لمحاربة الشاوي , فلما سمع الشاوي رحل الى (وشيل) في تكريت ومن ثم تحرك الى انحاء الخابور , وغنم جيش الوالي امواله وعاد الى بغداد (٤٠) ثم تحرك سليمان الشاوي الى عانة فأمر الوالي بقوة بقيادة كتحدا البوابين خالد اغا .

(٩)

خامسا : التحالف العشائري الكبير ضد المماليك

لعبت قبيلة المنتفق دور كبير في مساعدة الوالي (سليمان باشا الكبير) في بداية حكمه في الفترة الزمنية (١٧٨٠-١٧٨٧م) على تولي الولاية والقضاء على القلاقل الداخلية وضبط الأمن، وفي عام ١٧٨٤م ساعدت الحكومة في حربه ضد قبيلة كعب وأنقذت مدينة البصرة من خطر الكعبيين , وخلال تلك الاحداث ادرك (ثويني) شيخ المنتفق قوة أتباعه وضعف المماليك (٤١) فكان لتلك الحادثة السبب في تكوين التحالف العشائري الكبير ضد سلطة المماليك في العراق، والسبب الثاني فهو لجوء (الشاوي) الى ثويني بعد هزيمة جيشه أمام جيش الوالي في بغداد . فناصره ثويني الحاج الشاوي وكتب إلى الشيخ (حمد الحمود) شيخ الخزاعل لحرب المماليك .

في نيسان ١٧٨٧م سار (ثويني العبدالله) مع فصيل من عشيرته إلى البصرة وألقى القبض على متسلمها ثم احتل البصرة واستبدل جميع الموظفين العثمانيين بموظفين من قبله , ثم كتب رسالة إلى الباب العالي برر فيها تصرفه بضرورة إعادة حقه في البصرة التي كانت في يوم ما تعود إلى أسلافه ووعد في ختام رسالته ان يخدم السلطان بصدق وإخلاص إذا ما ولاه الحكم في بغداد والبصرة (٤٣) .

اهتم (سليمان باشا) للأمر وصار يجهز الجيوش وكتب إلى (إبراهيم باشا) متصرف بابان وكوى وحرير وكاتب عبد الفتاح باشا متصرف درنة وباجلان ان يوافوه بالجيوش ويحضروا بأنفسهم للحرب (٤٣) .

وفي تلك الأثناء وصل الأمر من اسطنبول بالقضاء على تلك الانتفاضة في الحال فقاد سليمان باشا الكبير بنفسه الحرب مع العشائر, وأرسل في الوقت نفسه إلى (سليمان الكعبي) بطلب المساعدة واعدا إياه باعطائه بعض الاراضي التي كان يتطلع لها سليمان الكعبي من زمن، والذي يهدف منه سليمان الكبير ان يمنع تحالف الكعبيين مع المنتفق، لعلمه ان الشيخ (ثويني العبدالله) يجري مفاوضات في ذلك الشأن مع سليمان الكعبي (٤٤) .

وصل جيش سليمان باشا الكبير الى *الحسكة لمواجهة الخزاعل أمتأهبين للقتال وفي مقدمتهم (حمد الحمود)، فتقدم

الوزير نحوهم فساق الكتائب وضيق الحصار على قلاعهم (سببية) واحاطهم من جميع جهاتهم ففترق شملهم (٤٥) ثم واصل طريقه للمنتفق حتى وصل (ام العباس) وفيها ضرب خيامه في حين جمع شيخ المنتفق (ثويني العبدالله وسليمان الشاوي) وشيخ الخزاعل حمد الحمود جيوشا" كبيرة، فبلغ عدد الخيالة والمشاة عشرين الفا" واستعدوا في نهر عمر، فمكثوا ثلاثة ايام لتعبئة الجيش، و ساروا الى الوزير والتقوا في (أم الحنطة) وحدثت معركة كبيرة يوم ٢٥ تشرين الاول عام ١٧٨٧م انتصر فيها جيش الوالي سليمان باشا الكبير عليهم (٤٦).

هناك عامل مهم في انتصار سليمان باشا الكبير على العشائر ،على الرغم من ان عشيرة المنتفق كانت تمثل القوة الكبيرة في التحالف والعنصر الاساسي ، فان اية بلبلية بين صفوفها ستؤدي الى الاختلال في صفوف العشائر وهذا ما حدث ، حين ذهب الشيخ(حمود الثامر السعدون) احد اكبر شيوخ المنتفق مع مئة من وجهاء عشيرة المنتفق والتجأ الى الوالي فأبلغه على ان تنفض الناس من حول الشيخ(ثويني العبدالله) والذي حدث فعلا" ، فكافئه الوالي ووجه مشيخة المنتفق الى حمود الثامر ومشيخة الخزاعل الى محسن الحمد ، ووجه متسلمية البصرة الى مصطفى اغا الكردي ونظم امورها وترك في البصرة اسماعيل اغا التكه لي رأس اللاوند مع جملة بيارق خيالة في البصرة(٤٧) .

١٠

وقد وصف الرحالة الانكليزي توماس هاول (THOMAS HOWEL) الذي بقي في البصرة ما بين (٢٣ شباط الى ١ آذار ١٧٨٨) تلك المعركة ، حيث فحص آثار معركة ٢٥ تشرين الاول وكتب عنها قائلا"((أنها لابد كانت مذبحة رهيبة ، فالميدان كله مغطى بعظام الرجال والخيول)) (٤٨).

عندما انتصر الوالي عزل الشيخين (ثويني العبد الله) من مشيخة المنتفق و(حمد الحمود) من مشيخة الخزاعل ، أما (سليمان الشاوي) فتمكن من الفرار وبقي فارا" مدة ثم طلب العفو من الوالي فعفا عنه واعاد إليه أملاكه وأمره بالإقامة في مقاطعاته الواقعة قرب بغداد في موقع يسمى (تل اسود) وبقي حتى عام ١٧٩٠ حيث التجأ اليه (محمد العجمي) الذي عاد من إيران فجأة ، فطلب منه الوالي ان يسلم محمد العجمي فلم يفعل لان ذلك منافي للتقاليد العشائرية فوجه اليه الوالي حملة بقيادة الكهية فلم يجد سليمان الشاوي تجاه ذلك سوى الهرب نحو الصحراء مع دخيله (العجمي) واستطاع الكهية ان يستولي على اموالهم في (عين القير) التي تبلغ اربعين الفا" من الاغنام والأموال الاخرى (٤٩) واستطاع محمد العجمي ان يهرب عن طريق الصحراء الى مصر- حيث مات فيها - وذهب الحاج سليمان الشاوي الى قومه في الخابور وهناك اغتاله احد اقاربه وهو(محمد بن يوسف الحربي واولاده) عام ١٨٩٤م (٥٠) .

سادسا: تحالف البابا نيين مع المنتفق للقضاء على حكم المماليك في العراق

بعد أن هدأت الاحوال في البصرة اكتشف الوالي سليمان باشا الكبير مؤامرة تستهدف القضاء على حكم المماليك في العراق دخل فيها اكبر الضباط في البصرة وحكام شهرزور اضافة الى (ثويني العبدالله) شيخ المنتفق ، حيث عمل الحاكم الكردي للبصرة (مصطفى بيك) الذي خدع حاميته المؤلفة من جنود اللاوند ، وكتب إلى (عثمان باشا بابان) لتدبير ثورة تضرم نارها في وقت واحد ويستهدف بها استقلالهما ، كذلك عمل على اجتذاب ضباط البصرة الى جانبه بالرشوة والهدايا ، ثم بعث الى (ثويني العبدالله) يقنعه بالدخول في الخطة ، وكتب في الوقت نفسه الى الوالي بأن لا قبل لحمود الثامر بالمشيخة ومن الواجب إعادة ثويني الى مشيخته ، صادق الوالي(سليمان باشا الكبير) على إعادة ثويني الى مشيخة المنتفق . غير ان سليمان باشا الكبير كان قد اطلع على كل شئ ، فعمل على نقل قائد خيالة البصرة وبعث محمد الشاوي (ابن الحاج سليمان الشاوي وباب العرب) إلى البصرة ليحمل تحذيرا" عاما" للمتسلم ، ورجاءا" خاصا" الى القبطان باشا ، بأن يقوم بالقضاء على المتسلم بضربة فجائية ، إلا ان القبطان مصطفى حجازي اساء تدبير الامر فكلفه ذلك رقبته فيما بعد (٥١) .

كان دور(عثمان باشا بابان) في الخطة ان يقوم بالتقدم نحو بغداد لاحتلالها وانهاء حكم المماليك بعد ان يقوم حاكم البصرة بأستدراج سليمان باشا الكبير الى البصرة حيث يقوم بالقضاء عليه بالتحالف مع ثويني العبدالله شيخ المنتفق ، فعمل سليمان باشا الكبير على وضع خطة مضادة ، حيث سارع الى توجيه كتاب دعوة لعثمان باشا الى العاصمة البابانية (السليمانية) (٥٢)، فقد دعي عثمان باشا الباباني الى بغداد حيث زوجت ابنته ، مع المجاملات الكثيرة ، الى اخي الكهية ، وبهذه الوسيلة عزل الباباني عن قواته وعن تأثير حليفه في البصرة ، ثم تحركت في شباط ١٧٨٩ (٥٣) حملة الوالي الى البصرة بعد ان ضمن عدم مشاركة عثمان باشا الباباني ، فجرى الصدام بين جيش الوالي وقوات المتسلم والمنتفق في العرجة على الفرات فانتصرت قوات الوزير وهرب (مصطفى بيك) الى الكويت وقصد ثويني البادية واعيد حمود الثامر الى مشيخة المنتفق وعين مملوك آخر هو عيسى المارد يني للبصرة (٥٤) .

سابعا: حملات علي الكهية على العشائر لفرض الضرائب

تمثل حملات الحكومة المملوكية على العشائر من اجل استيفاء الضرائب المتأخرة نمطا "مألوفًا" من أنماط العلاقات العشائرية المملوكية في عهد جميع الولاة المماليك ،حيث كانت تلك الحملات لا تنقطع في جميع الأوقات نتيجة لتأخر دفع الضرائب او لفرض ضرائب جديدة باهضة ومتعددة تمتنع العشائر عن دفعها او تتأخر فيها ، حين تطلب من شيخ العشيرة دفعها ، فعندما يتأخر تجهز الحكومة بالإغارة على العشائر مصادرة مواشيها وخزينها من الحبوب والمواد الغذائية الاخرى مقابل تلك الضرائب .

قام الوالي (سليمان باشا الكبير) بتوجيه كهيته علي(٥٥) - الذي تولى بعد الكهية السابق احمد - للقيام بحملات ضد العشائر المتأخرة عن دفع الضرائب ، في مختلف انحاء العراق ،فوجه حملة ضد عشيرة البرشواوية في عفاك صيف عام ١٧٩٦م ،وأغتنم منهم اثنتي عشرة ألف رأس من البقر وعاد الى بغداد(٥٦) ، وفي عام ١٧٩٧ قاد الكهية حملة عسكرية عظيمة على الخزاعل ،فورد الحسكة ،فبعث (حمد الحمود) بطلب الصلح فرفض الكهية ،فهاجمهم وضبط ديارهم ،وبعث الكهية بعد انتصاره الى (محسن الغانم) شيخ خزاعل الشامية و(سبتي المحسن) شيخ خزاعل الجزيرة طلبا "بتأدية كل واحد منهم ألف (تغار) من الشلب عدا النقود المطلوبة ونصب سبتي المحسن شيخا" على خزاعل الجزيرة ومحسن الغانم على خزاعل الشامية، واستوفى الميري والنقود وعاد(٥٧) .

وجهاز الوالي حملة على احدى عشائر زبيد(٥٨) (السعيد) لامتناعها عن دفع الضرائب فأستحصل الضرائب ،ثم قام بحملة على شيوخ ربيعة (٥٩) فتغلب عليهم وابعدهم وغنم مواشي كثيرة، ثم توجه نحو ديار ربيعة فنظم امورها وحصل منهم على ستين ألف رأس من الغنم وعلى مقدار كبير من الجاموس وبهذا اكمل الكهية مهمته في النهب والسلب وعاد الى بغداد (٦٠) .

استمرت حملات الوالي عن طريق كهيته (علي) على عدة عشائر في انحاء عديدة بسبب الضرائب التي كان الوالي يفرضها سنويا" ويزيدها تبعا" لحاجته الى الاموال لاسترضاء الباب العالي أو اشباع حاجته وحاشيته ، لذلك كانت الضرائب كل عام زيادة في المبالغ وفي اضافة انواع جديدة من الضرائب وهي من الامور التي أوجدت نوع من العلاقات العدائية بين العشائر والوالي فتكررت حملات على عشيرة عنزة في الحلة وقشم والاسلم والرفيع وكذلك على عشيرة الديلم في الجهة الغربية من العراق اضافة الى غاراته المتكررة على الخزاعل في ايام حصاد محصول الشلب فكانت غارة الكهية تنتهي بان يقوم بسلب ونهب مواشي العشائر واموالهم ثم يعود الى بغداد.

ثامنا: تعاون العشائر مع الحكومة لمواجهة الحركة الوهابية (٦١)

منذ عام ١٧٩٠م اخذ الخطر الوهابي يهدد العراق ،فقد ظهرت على الحدود العراقية السعودية من ناحية الصحراء جماعات وهابية اخذت تغزو مراعي الضفير والمنتفق والشامية واخذ الدعاة الوهابيون يتسللون الى العراق ويحاولون نشر الدعوة الوهابية بين عشائر الفرات ويستغلوا العداء الموجود لدى العشائر ضد الحكومة العثمانية ووالي بغداد (٦٢) ، وبعد ان استولى الوهابيون على الاحساء، وأصبحوا يهددون بشكل كبير قبائل العراق وقوافل الحجاج ،طلبت اسطنبول من الوالي سليمان باشا الكبير عام ١٧٩٦م ان يسير بالاشتراك مع إمام مسقط لمحاربة

الوهابيين ،وفي هذه السنة اعاد الوالي (ثويني العبد الله) الى مشيخة المنتفق وعزل الشيخ (حمود الثامر) لغرض قتال الوهابيين والزحف الى نجد (٦٣) .

قام الوالي باعداد حملتين لرد خطر الوهابيين عن العراق الاولى بقيادة ثويني العبدالله وبعدان فشلت الحملة قام الوالي بتجهيز حملة أخرى بقيادة (علي الكهية) .

كلف الوالي في عام ١٧٩٧م ثويني شيخ المنتفق - بعد ان صالحه واسترضاه بالمسير الى حرب الوهابيين وامر ان يلتحق به الجيش الموجود في البصرة مع خمس من القطع البحرية، وسار ثويني نحو الاحساء مع جمع من عشائر (المنتفق وعقيل والظفير وبني خالد) وغيرهم وعند وصوله مع قواته الى عين الشبيك هجم عليه في خيمته عبد زنجي اسمه (طعيس) فقتله وسميت هذه الموقعة (سحبة) (٦٤) ولما كان الجيش لا رابط له ولا نظام سوى شخصية الشيخ (ثويني) فقد تفرق في الحال وانقسم الى خمسين قطعة،كل قطعة كانت توافقه للرجوع الى الوطن سالمة وانتهاز الوهابيون الفرصة فانثالوا عليها يقتلون وينهبون فغنموا منها المدافع والقتال كما غنموا الكثير من الابل والغنم فضلا" عن المواد الغذائية والتجهيزات (٦٥) بعد ان فوجئ الوالي سليمان باشا الكبير بفداحة هذه الضربة وايقن ان امر الحركة الوهابية اعظم مما كان يظن ،اخذ يستعد لحملة جديدة على الوهابيين بقيادة (علي الكهية) الذي استعد لها طوال صيف عام ١٧٩٨م فكانت تشمل على

خمسة الاف انكشاري وعدد من الجنود الاجيرة وغير النظامية وعدة مدافع وضمت ثمانية عشر ألف فرس وعشرة الاف بعير ، ورافق الكهية محمد بك الشاوي مشاوراً في شؤون البادية ، وبعد ان وصلت القوات الى البصرة اضيفت الى الجيش قطعات من قبائل (الظفير والمنتفق وبني خالد) وبلغ عدد القوات العشائرية عشرة الاف مقاتل وبعد ان وصلت الحملة الى الهفوف، فقدت الحملة قوتها بسبب مشاكل في التموين والامداد وفشلت المدافع في هدم اسوار قلعتي (القفوف) و(المبرز) فاستعاض بالمعاول دون جدوى وبدأت الجمال تهزل وينتشر فيها الموت ، وضج الجنود سأمًا " وصار الكثير منهم ينادي بالعودة وعدم فائدة الاستمرار في القتال واشيع ان احد ابناء ابن سعود قطع الطريق شمال الهفوف، لذلك بدأت الحملة بالانسحاب، واقامت اتصالات لتوقيع الصلح وتبادلوا الرسل ، وكانت شروط الكهية اخلاء الاحساء ومعاملة الحجاج العراقيين بالحسنى واعادة المدافع العثمانية التي استولى عليها الوهابيون ، ودفع غرامة ، فعدت القوات العثمانية الى البصرة ومنها الى بغداد في تموز ١٧٩٩م واثبتت مراسيم التصديق على المعاهدة في بغداد بحضور ممثل الامير آل سعود ولكن المعاهدة انتهكت عام ١٨٠١م باعتداء الوهابيين على الحجاج العراقيين والاغارة على عشائر البادية في العراق (٦٦) ، وفي ٧/آب/١٨٠٢ توفي سليمان باشا الكبير بعد ان وصى من بعده بالولاية لصهره وكهيته وزوج اكبر بناته علي الكهية (٦٧).

١٣

الخاتمة

ارتبطت سلطة المماليك في عهد الوالي سليمان باشا الكبير بعلاقات قوية مع العشائر العراقية في بداية حكم الوالي في بغداد ، ولكنها بدأت تأخذ طابع العنف والعداء بعد ان استقر به الحال كوالي لبغداد ، حيث اخذ يفكر في إبعاد العناصر الغير مملوكية والقضاء عليها ليكون الحكم خالصاً له.

كانت علاقات الوالي في بداية حكمه قوية بالعشائر العراقية وتتسم بطابع الصداقة والتعاون وكان ذلك اثناء شغله منصب متسلم البصرة مروراً " باحتلال الفرس لها واسره حيث ساعدته العشائر في دخول البصرة كما عملت العشائر العراقية على دعم ترشيحه لولاية بغداد وتقديم الدعم والطاعة له ، اخذ الوالي يفكر بالقضاء على الاستقلال الذاتي للعشائر في مناطقها ، ولذلك قام بعدة حملات على الخزاغل في الفرات الاوسط و اسفرت عن خضوعها للحكومة ودفعها للضرائب ثم فكر بإبعاد العناصر الغير المملوكية المنتفذة في بغداد فابعد سليمان بك الشاوي وتبعه حملات ملاحقة للشاوي مع عشيرته حتى انتهى الامر بتشكيل تحالف عشائري كبير يتكون من اكبر العشائر في وسط وجنوب العراق ، هدد بشكل فعال حكومة المماليك ولكن الوالي استطاع ان يقضي عليه .

تعاونت العشائر العراقية مع العشائر الكردية (آل بابان) وشكل تحالف البابانيين والمنتفق للقضاء على حكم المماليك ، وكادت ان تقضي عليها لولا اكتشاف الخطة واستخدام سليمان باشا الكبير الحيلة تارة والقوة العسكرية تارة اخرى للقضاء على التحالف ، وشهدت السنوات الاخيرة من حكم الوالي سليمان باشا الكبير تجهيز حملات عديدة وكبيرة ضد العشائر العراقية في مختلف جهات العراق كانت تهدف في الظاهر الى جباية الضرائب ولكن الحملة تقوم بسلب ونهب اموال ومواشي وغلل العشائر الزراعية ثم تعود، وهذا يدل على ضعف الوعي السياسي والاداري بل وغيابه لدى الوالي الذي اخذ يقوم بدور السلب والنهب لاموال المجتمع .

كان ابرز مظاهر التعاون بين الوالي والعشائر في السنوات الاخيرة لحكمه هو محاولة التصدي لخطر الحركة الوهابية التي اخذت تغزو العراق ، حيث جهز حملتين للقضاء عليها الاولى بقيادة ثويني عبدالله شيخ المنتفق وكانت تتكون من عشائر عديدة كانت نتيجتها مصرع ثويني وهزيمة الحملة ، والحملة الثانية بقيادة علي الكهية وتكونت اكثرها من العشائر العراقية واسفرت عن توقيع الصلح مع آل سعود.

١٤

قائمة المصادر:

١. صالح احمد العلي : العراق في التاريخ ، دار الحرية للطباعة، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ٦٠٣ .
٢. عبد العزيز سليمان نوار : تاريخ العراق الحديث ، المكتبة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٠٨ .
٣. أول من تولى الحكم في العراق من المماليك اثر فتنة قام بها الانكشاريون في بغداد واستمرت ثلاث ايام مما جعل الوالي الذي عينته الدولة يفر من بغداد فأضطرت الدولة الى تعيين ابو ليلة واليا مكانه .

٤. عبد العزيز نوار : مصدر سابق ، ص ١٠٨ .
٥. علي الوردي : لمحات من تاريخ العراق الحديث ، ج ١ ، ص ١٥٣ .
٦. ستيفن همسلي لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، بغداد ، ١٩٦٢ ، ص ١٦٥ .
٧. ريجارد كوك : بغداد مدينة السلام ، ترجمة ، فؤاد جميل ومصطفى جواد ، ج ٢ ، بغداد ١٩٦٧ ، ص ٨٩ .
٨. علي الوردي ، مصدر سابق ، ص ١٥٨ .
٩. قبيلة كعب نزحت من نجد وكونت امانة قوية وكان لها مقران (قبان) في العراق (الدورق) في الاراضي الايرانية، وكونت قوة بحرية وبرية واربكت المصالح البريطانية في الخليج ، واستطاعت ان تتغلب على تحالف المماليك في عهد سليمان باشا ابولية مع شركة الهند الشرقية البريطانية عام ١٧٦١م. للمزيد ينظر عبدالامير محمد امين : المصالح البريطانية في الخليج العربي ١٧٤٧- ١٧٧٨م ترجمة هاشم كاظم لازم ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص ١٢٢ ، ج.ج. لوريمر : دليل الخليج العربي ، القسم الجغرافي ، ترجمة قسم الترجمة بمكتبة امير دولة قطر ، ط ٢ ، الدوحة [د.ت] ص ص ٢٢١٥- ٢٢١٦ ؛ مصطفى عقيل الخطيب: التنافس الدولي في الخليج العربي ١٦٢٢- ١٧٦٣ ، المكتبة العربية ، بيروت ١٩٨١ ، ص ٢٩٤ ؛ كارستين نيبور: مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة الى الحلة سنة ١٧٦٥م ترجمه عن الالمانية سعاد هادي العمري ، دار المعرفة ، بغداد ، ١٩٥٥ ، ص ص ٣٥- ٤٠ .
١٠. عباس العزاوي: العشائر العراقية ، ج ٤ ، المكتبة الحيدرية ، قم المقدسة ، ١٩٥٥ ، ص ١٣ .
١١. علاء موسى كاظم نورس: العراق في العهد العثماني ١٧٠٠- ١٨٠٠ ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٩ ، ص ٢٤٧ .
١٢. المصدر نفسه ، ص ٢٥٦ . نزار عبداللطيف الحديثي: العلاقات العربية- الفارسية ، دار واسط ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص ٨٣ .
١٣. ظهرت امانة المنتفق في العراق خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين . والمنتفق حديثاً اتحاد عشائري يشغل الاراضي على نهر الفرات وتمتد من الجبايش الى الدراجي ومن شط الغراف حتى الحي شمالاً "واقترن اسم المنتفق برؤساهم آل سعدون الذين يرتبطون بالسلالة النبوية بارتباطهم باشراف مكة وقد هاجروا من الحجاز وتوطنوا ارض الفرات في بداية القرن السادس عشر . عبد عون الروضان : موسوعة العشائر العراقية ، ج ٢ ، شركة الاهلية : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٤٣ .
١٤. هناك رأيان في نسب بنو خالد، الراي الاول يرى ان بنو خالد من بني مخزوم فهم عدنانيون مضر يون من قريش، اما الراي الثاني فيرى ان بني خالد من احلاف آل فضل وهم من طيئ وعشائرهم مشهودة وتتناقل نسبها المعروف المتواتر وكان لهم اعظم الاثر في الشام خاصة ، وتنتشر عشائرهم في الاحساء شرقي المملكة العربية السعودية والعراق ونجد والشام ؛ عبدعون الروضان: المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٣٤ .
١٥. علاء موسى كاظم نورس: المصدر السابق ، ص ٢٥٧ .
١٦. علاء موسى كاظم نورس: المصدر السابق ، ص ٢٨٢ ؛ ستيفن همسلي لونكريك : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر خياط ، ط ٦ ، ١٩٨٥ ، ص ص ٢٣١- ٢٣٢ .
١٧. رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء ، ترجمه عن التركية موسى كاظم نورس ، بيروت ، ١٩٦٣ ، ص ١٨٧ .
١٨. علاء موسى كاظم نورس: المصدر السابق ص ٢٨٥ .
١٩. عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٥ ، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة ، ١٩٥٤ ، ص ٨١ .
٢٠. الخزاعل هناك من قال انهم من خزاعة القبيلة العربية المعروفة ولكن الاصح هو ان الخزاعل من سنبس من طيئ ولم يكونوا من خزاعة ووجودهم في العراق منذ القرن الثامن الهجري بل من ايام امير دولة الحمداني وهي من اقدم العشائر الطائية الموجودة في العراق: ينظر عباس العزاوي : العشائر العراقية ، ج ٣ ، المكتبة الحيدرية ، قم المقدسة ، ١٩٥٥ ، ص ٢٤٥ .
٢١. لونكريك: المصدر السابق ، ص ٢٤٣ .
٢٢. رسول حاوي الكركوكلي: المصدر السابق ، ص ١٨١ .
٢٣. حكم بغداد ثلاثة ولاه ممالك يحملون اسم سليمان باشا ابولية (١٧٤٩- ١٧٦٢) وهواول الولاة المماليك في بغداد وثانيهم سليمان باشا الكبير (١٧٨٠- ١٨٠٢) والثالث سليمان باشا الصغير (١٨٠٨- ١٨١٠) .
٢٤. عشيرة العبيد احدى عشائر زبيد من فرع زبيد الاصغر؛ عباس العزاوي: العشائر العراقية ، ج ٣ ، ص ١٥٣ .
٢٥. لونكريك : المصدر السابق ، ص ٢٥٣ .
٢٦. علي الوردي : لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ١ ، مكتبة الصدر، قم المقدسة ، ٢٠٠٤ ، ص ١٧٦ .
٢٧. رسول حاوي الكركوكلي: المصدر السابق، ص ١٨٧ ؛ يوسف كركوش الحلي: تاريخ الحلة، القسم الاول، المكتبة الحيدرية ، النجف الاشرف ، ١٩٦٥ ، ص ١٢٨ .
٢٨. احمد علي الصوفي : المماليك في العراق ، الموصل ، ١٩٥٢ ، ص ص ٥٤- ٥٨ .
٢٩. عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ، المصدر السابق، ج ٦ ، ص ٩٣ .
٣٠. عثمان بن سندا البصري: مطالع السعود، تاريخ العراق من سنة ١٧٧٤ الى سنة ١٨٢٦، تحقيق عماد عبدالسلام رؤوف وسهيلة عبدالمجيد القيسي، دار الحكمة ، الموصل ، ١٩٩١ ، ص ص ١٦٢- ١٦٤ .
٣١. لونكريك: المصدر السابق، ص ١٩٨ .
٣٢. عباس العزاوي: تاريخ الادب العربي في العراق ، ج ٢ ، بغداد ، ١٩٦٢ ، ص ص ٤١- ٤٣ .
٣٣. لونكريك: المصدر السابق ، ص ١٩٨ .
٣٤. الكهية لفظة مختزلة عن (الكتخذا) الفارسية وكانت في عهد المماليك تعني معاون الوالي ومنفذ لاوامره وقائد قواته ، وكان

- هذامنصبا" كبيراً" في تلك الايام يلي منصب الوالي في الاهمية ،وقد تأتي لفظة الكهية في اللهجة العراقية احياناً" بصورة(الكخية).
٣٥. لونكريك: المصدر السابق، ص٢٤٣.
٣٦. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص١٩٦.
٣٧. احمد الصوفي: المصدر السابق، ص ص ٥٩-٦٠.
٣٨. رسول الكركوكلي: المصدر السابق ، ص ص ١٨١-١٨٢.
٣٩. عباس العزاوي: تاريخ الادب العربي في العراق ، ج ٢ ، ص ٤١.
٤٠. علي الوردي: المصدر السابق ، ص ص ١٨٠-١٨١.
٤١. عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٦ ، ص ٩٩.
٤٢. لونكريك: المصدر السابق ، ص ٢٤٤.
٤٣. الكسندر آدموف : ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ، ج ٢ ، ترجمة هاشم صالح التكريتي ، مطبعة التعليم العالي ، البصرة ، ١٩٨٩، ص ١٢٤.
٤٤. آدموف: المصدر السابق ، ص ١٢٤.
٤٥. رسول الكركوكلي: المصدر السابق ، ص ١٩٩.
٤٦. لونكريك: المصدر السابق ، ص ٢٤٥ ؛ عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٥ ، ص ١٠٢.
٤٧. عثمان بن سند البصري : المصدر السابق ، ص ص ١٧٧-١٧٨ ؛ عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٦ ، ص ١٠٢.
٤٨. مجموعة باحثين: العراق في التاريخ ، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ٦١٣ .
٤٩. عثمان بن سند البصري: المصدر السابق ، ص ١٧٨.
٥٠. عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٦ ، ص ص ١٠٩ - ١١٠.
٥١. لونكريك: المصدر السابق ، ص ٢٤٦؛ عثمان بن سند البصري : المصدر السابق ، ص ١٧٩.
٥٢. تأسست مدينة السليمانية عام ١٧٨٦، اسسها ابراهيم باشا بابان في مكان قرية ملكندي، وسميت نسبة الى سليمان باشا الكبير، واصبحت مقراً" للبيكات اسرة بابان واعطي اسمها للسنجق كله بدلاً" من اسم سنجق قره جولان .
٥٣. لونكريك: المصدر السابق، ص ٢٤٦.
٥٤. ادموف : المصدر السابق ، ص ١٢٦.
٥٥. تولى منصب الكهية في عام ١٧٩٥ بعد ان قام بقتل الكهية السابق ، فقام الوالي بتزويجه ابنته وعينه كهية له.
٥٦. رسول الكركوكلي: المصدر السابق، ص ٣٦٥.
٥٧. عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين، ص ١٠١ .
٥٨. زبيد من عشائر العراق المعروفة بكثرتها ومكانها وهي من العشائر القحطانية منتشرة في عديدة من العراق ، انت الى العراق مع اوائل الفتح الاسلامي، وكان لهم الاثر البالغ في الفتح الاسلامي على يد رجالها، وهي تنفرع الى زبيد الاكبر وزبيد الاصغر ، ومن فروع عشائر زبيد الاكبر: البوسلطان ، والجحيش ، والسعيد ، وبنو عجيل، والمعامرة، وآل حميد ، والسواعد، ومن فروع زبيد الاصغر: الجبور ، والجنابيين ، والدليم ، والعبيد ، والعزة ، وهناك عشائر كبيرة ملحقة وتسكن مع زبيد ينظر عباس العزاوي :العشائر العراقية ، ج ٣، ص ص ١٣٠ - ١٤٩.
٥٩. ربيعة يتكون من لواء الكوت وان عشائرها في خارجها ايضا" ليست قليلة في العمارة والناصرية والبصرة وربيعه هم بطن من بكر بن وائل من العدنانية ، نزحوا الى العراق منذ القدم ؛عباس العزاوي :عشائر العراق ، ج ٤ ، ص ١٦٢.
٦٠. عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٦ ، ص ١٢٠ ؛ لونكريك : المصدر السابق ، ص ص ٢٦٤ - ٢٦٥.
٦١. الوهابيون نسبة الى مؤسس الحركة محمد بن عبد الوهاب ، والوهابيون انفسهم لا يرتضون هذا الاسم فهم يسمون انفسهم بـ (الموحدين) ويطلقون اسم الحركة على نفسها عند التأسيس والتوسع اسم (حركة الاخوان) ؛ عمر عبدالعزیز عمر: في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٥ .
٦٢. لونكريك : المصدر السابق ، ص ٢١١؛ عبدالمطلب ، ص ٦٧.
٦٣. آدموف : المصدر السابق ، ص ١٣٠ .
٦٤. عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٦ ، ص ص ١٢٣ - ١٢٤.
٦٥. عثمان بن سند البصري : المصدر السابق ، ص ٢٥٨.
٦٦. لونكريك : المصدر السابق ، ص ٢٥٨.
٦٧. المصدر نفسه ، ص ٢٦٥.

اصل المماليك ونشأتهم

هم خليط من الاتراك والروم والاوربيين اتى بهم الحكام ليستعينوا بهم في القرن السادس الهجري وحتى منتصف القرن السادس عشر فقد كان كل حاكم يتخذ منهم قوة تسانده وتوفر الامن والاستقرار في امارته او مملكته ، وممن عمل على جلبهم والاستعانة بهم الايوبيين وخاصة في عهدهم المتأخرة لما اصابهم من الضعف واحتاجوا الى الرجال ليمدوهم بالقوة وقد كانوا يبايعون للملوك والامراء ثم يدربون على الطاعة والاخلاص والولاء (١) .

بسبب الضعف الذي انتاب حكومة بغداد جعلها بحاجة الى حاكم قوي ليعيد الامن فيها وليضع خطة يعالج فيها مشكلات البلاد وانقاذها من الفوضى التي اجتاحتها خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر ، اذ هيأت الظروف السياسية الفرصة لاسناد العراق الى والي ذي نشاط وكفاءة معروفة وهو حسن باشا (١٧٠٤-١٧٢٣ م) فقد بذل هذا الوالي مجهودات كبيرة للسيطرة على العراق بأسره واستطاع ان يبعد عشائر المنتفق عن البصرة ، وان يسند ولاية شهرزور الى ابنه احمد وقد جنت حكومة بغداد ثمار توحيد

معظم اجزاء العراق تحت اشرافها ، الا ان حسن باشا توفي فجأة مخلفاً وراءه ابنه احمد . كانت حياة المماليك خلال فترة تربيتهم وشعورهم بأنهم اقلية وسط جموع العراق الكبير اذ ساعدت هذه العوامل في تمكينهم من ان يستأثروا بالحكم في العراق في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي (٢) .

لم يكن ظهور المماليك في العراق الا ظاهرة تكررت في بقاع عديدة من الدولة العثمانية ، ففي الموصل ظهرت اسرة ال عبد الجليل وفي البصرة ظهرت اسرة ال افراسياب عندما استعاد العثمانيون حكمهم المباشر عليها ولم يكن في وسع الدولة ان توقف ذلك بسبب اتساع نطاق العمليات العسكرية التي كانت تقوم بها القوات العثمانية ، وكان اول من حكم العراق من المماليك سليمان ابا ليلة (٣) الذي تولى الحكم على الرغم من معارضة الباب العالي ، وقد اعيد الحكم للمماليك بسبب ميل الشعب لولاة المماليك وبسبب عجز القوات العثمانية عن اخراج الفرس من البصرة اذ استطاعت عشائر المنتفق ان تخرج القوات الفارسية من البصرة (٤) .

دام عهد المماليك زهاء ثمانين عاما" فبدأ في عام ١٧٤٩ م بولاية سليمان باشا (ابوليلة) وانتهى في عام ١٨٣١ م بعزل داود باشا وكان ممالك العراق يشبهون ممالك مصر من حيث اصلهم ومنشأهم فهم جاءوا في الغالب من جورجيا ومنهم من بلاد الشركس والداغستان وهي كلها من بلاد القفقاس والمجاورة لها وكانوا يجلبون الاطفال كالانكشارية فيودعون في مدارس خاصة بهم ليتعلموا القراءة والكتابة والسباحة والفروسية وفنون القتال وعند تخرجهم يدخلون في سلك الجيش وان اول من جلب المماليك للعراق هو حسن باشا بعد ان فشل نظام الانكشارية فقد كانت اسواق تفليس زاخرة بالصبيان المعروضين للبيع والظاهر ان بيع الاطفال كان من تقاليد تلك البلاد وقد اسس حسن باشا دائرة خاصة هي (دائرة الداخل) ومهمتها الاشراف على شراء المماليك وتدريبهم وبعد ان تولى ابنه احمد باشا الحكم زاد من شراء المماليك والعناية بهم حتى اصبحوا قوة لا يستهان بها (٥) .

(٣)

سليمان باشا (ابو ليلة)

كان سليمان باشا ابو ليلة اول تولى الحكم في العراق من المماليك وقد وصل الى الحكم اثر فتنة طاحنة قام بها الانكشاريون في بغداد وضربوا السرايا بالقنابل واستمرت الفتنة ثلاثة ايام مما جعل الوالي الذي عينته الدولة يفر من بغداد طلباً للنجاة ، فأضطرت الدولة الى تعيين (ابو ليلة) واليا مكانه .

دام حكم ابو ليلة ثلاث عشرة سنة من (١٧٥٠ – ١٧٦٣ م) أما سبب تسميته بأبي ليلة فكان لتخفيه وخروجه بالليل وكان شديد الوطأة على كل من يعيث بالامن خاصة العشائر المتمردة وقد لقب بألقاب اخرى منها (ابو سمرة ودواس الليل وسليمان الأسود) مما يدل على إعجابهم به لقوته وحزمه (٦) .

وعلى الرغم مما كام يتمتع به من شجاعة وحزم في علاقته مع رعيته خارج بيته فقد كان في بيته ضعيفا لا امر له ولا نهى اذ كانت زوجته (عاذلة خاتون) مسيطرة عليه سيطرة تامة حيث كانت كثيرا ما تبطل الاوامر التي كان يصدرها زوجها او كهيته ، وكانت لها شارة شرف خاصة هي عبارة عن منديل حريري يتميز به اتباعها الذين خدموا في عهد والدها وجدها فكانت تلف الشارة على رؤوسهم في المراسيم ليتميزوا بها عن سائر الموظفين ، وصار على من يريد اقتناء هذه الشارة ان يدفع الى عاذلة خاتون مبلغا من المال على سبيل الهدية (٧) .

ومهما بلغ الحال فقد بلغ نفوذ المماليك في عهد ابو ليلة من السيطرة الفعلية فقد وصل به الأمر الى اخذ الصبيان المستوردون من أسواق تفليس وايصالهم الى بغداد وتزايدت أعدادهم بكثرة هناك فأسست لهم مدرسة تسع مئتي صبي منهم وصار ابو ليلة يكثر من استخدامهم في وظائف الحكومة فكان منهم الكتبة والجباة وقادة الحاميات ، كما كانوا من كبار حاشيته ايضا فأدى ذلك الى حرمان الاسر التركية والبغدادية المعروفة نصيبها الذي اعتادت عليه من الجهاز الحكومي (٨) .